﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النّساء: 76]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين الحثّ على الجهاد، والقتال المحّض لله لا للشّيطان

لَمَّا حثَّ بيانُ الله المؤمنين على الجهاد في سبيله، والذَّود عنِ المُستَضعَفينَ منَ المؤمنين في مكّةَ من بَطشِ الكَفَرةِ من أهلِها، وساق لنا أدعيّةَ المُستضعَفِينَ بطلب الوِلاية والنُّصرة منَ الله، جاءَت هذه الآية الكريمة، لتحدّد الفرق بين من يقاتل في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الطّاغوت، وأنّهما لا يستويان مثلا، وتؤكّد أمر الله للمؤمنين بأن يقاتلوا أهل الكفر والشّرك الّذين يتولَّون الشّيطان، ويطيعون أمره، ويركنون إليه؛ لأنّ تدبير الشّيطان لأوليائه كان ضعيفًا، وأنّ تزيينه لهم كان سخيفًا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾: مِنَ الفعل طَغِيَ، كرضِيَ، طَغيًا وطُغيانًا، بالضَّمِّ والكسر: جاوزَ القَدرَ، وطَغَوتُ وطَغَيتُ طُغْوانًا[2]، وأَطغاهُ كذا، حملَه على الطُّغيان، وارتَفعَ، وغَلا في الكفر، وأَسرَفَ في المعاصي والظُّلم[3]، وذلك تَجاوُزُ الحَدِّ في العصيان، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤﴾ [النّازعات: 17]، والطَّغوَى: الاسم منه، قالَ تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١﴾ [الشّمس: 11]؛ تَنبيهًا أنَّهم لم يُصدِّقوا إذا خُوِّفوا بعقوبة طُغيانهم[4]، والطَّاغوت: عبارةٌ عن كلِّ مُتعدٍّ، وكلِّ

(1) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 90.
(2) الفيروزآبادي، القاموس: (طَغِيَ).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (طغا).
(4) الرّاغب، المفردات: (طغى).

معبودٍ من دُون الله، ويُستَعملُ في الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: 256]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النّساء: 60]، ولما كان هو عبارةً عن كلِّ مُتعدٍّ، سُمِّيَ السَّاحرُ والكاهِنُ والمارِدُ منَ الجِنّ، والصَّارفُ عن طريق الخير طاغوتًا، ووزنُه فيما قِيلَ: فَعَلوتٌ، نحو: جَبَروتٌ ومَلَكوتٌ، وقِيلَ: أصلُه: طَغَوُوت، ولكن قُلِبَ لامُ الفعلِ، نحو: صَاعِقةٌ وصَاقِعةٌ، ثمَّ قُلبَ الواوُ ألفًا لِتَحرُّكِه وانفتاح ما قَبلَه[1].

2) ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: وهو كلّ عاتٍ من الإنس والجنّ والدّواب، قال جرير:

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلٍ *** وَهُنَّ يَهْوَيْنَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانَا[2]

وَعَلَى ذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾ [الصّافات: 65][3]، وكلمةُ (الشَّيطان) لها أصلان: الأوَّلُ: منَ الفعل (شَطَطَ)، أي: بَعُدَ، والشَّيطانُ قد بَعُدَ عنِ الحقِّ؛ بتكبُّره على أمر الله تعالى بالسُّجود لآدمَ ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34]. الثّاني: منَ الفعل (شَطَنَ)، فالشَّيطانُ: نونُه أصليَّةٌ، وقيل: إنَّها زائدة، فإن جُعلَ (فَيعَالًا) من قولِهم: (تَشَيطَنَ) الرَّجُلُ صَرَفتَه، وإن جَعلتَه من تَشَيَّطَ لم تصرفْه؛ لأنَّه فَعلان[4].

3) ﴿كَيۡدَ﴾: الكَيدُ: ضَربٌ منَ الاحتيال، وقد يكونُ مَذمومًا ومَمدُوحًا، وإن كان يُستَعملُ في المَذموم أكثر، وكذلك الاستدراجُ والمَكر، ويكونُ بعضُ ذلك محمودًا، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ [يوسف: 76][5]. وقولُه تعالى: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٞ ١٨٣﴾ [الأعراف: 183]. قال بعضُهم: أراد بالكَيد العذاب[6]، والصَّحيح: أنَّه هو الإملاءُ والإمهالُ المؤدِّي إلى العقاب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ﴾ [آل عمران: 178]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف: 52]، خَصَّ فيه الخائنينَ تنبيهًا إلى أنّه قد يَهدي كيدَ من لم يقصِد بكيده خيانة، كَكَيدِ يوسُفَ بأخيه، وقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَامَكُم﴾ [الأنبياء: 57]؛ أي:

(1) الرّاغب، المفردات: (طغى).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (شطن).
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: (شطن).
(4) الفيروزآبادي، القاموس: (شطط) و(شطن).
(5) الرّاغب، المفردات: (كيد).
(6) يُروَى عن ابن عبّاس: (ﷺ) قولُه: "كيدُ الله: العذابُ والنِّقمة"، يُنظر: السُّيوطي، الدُّرُّ المنثور: 3/618.

لَأُرِيدَنَّ بها سُوءًا[1]، والكيدُ من الخلق هو الحيلة والسّيئة، ومن الله التّدبير بالحقّ لمجازاة أعمال الخَلْق، أو إبطال خطّة الخصم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: 28][2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

شتّان بين مقاتل في سبيل الله، ومقاتل في سبيل الشّيطان

بيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ المؤمنينَ حقًّا، هُمُ الَّذين يُقاتِلونَ في طاعة الله ورضوانه، وأنّ الكافرين يُقاتلون في إرضاء الشَّيطان وأعوانه، وعليه حفّز الله تعالى المؤمنين على قتال أعدائه، ليُقاتِلوا المُوالينَ للشَّيطان، مُبيِّنًا أنَّ مكرَ الشَّيطانِ ضعيفٌ، لا يقوَى أمام إيمان المؤمنين وصِدقهم معَ الله[3]، فالله ينصر عباده على أعدائه، والعاقبة دائما للمتّقين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

أثر العطف في إثراء المعنى، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾:

شَحذَ الهِمَم للجهاد في سبيل الله، وبيان ضَعف الكيد وخسرانه

هذا الكلامُ المبتدأُ سِيقَ لترغيب المؤمنين في القتال، وتَشجيعِهم ببيان كمال قُوَّتِهم، بإمداد الله تعالى ونُصرته، والمؤمنون يُقاتلونَ لغاية نبيلة رفيعة، وهي نشرُ دين الله، وإعلاءُ كلمته[4]، وفي هذا البيان الجليل إشارةٌ قويّةٌ، بأنَّ الله تعالى استجابَ دعوةَ أولئك المُستضعَفينَ، وهيَّأَ لهم النَّصرَ القريبَ المُبينَ، على أيدي المؤمنين الصَّادقين. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ عطفٌ على ما سبقَه، ولكن مع تَغايُرِ هُوِيَّة المعطوف والمعطوف عليه، فهُوِيَّة المعطوف عليه الإيمان، والقتال طاعةً للرَّحمن، والمعطوفُ هُوِيَّتُه الكُفرُ، والطُّغيان، والقتالُ في سبيل الشَّيطان؛ فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالنَّصر والفتح المبين؟!

(1) الرّاغب، المفردات: (كيد).
(2) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (كيد).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم: 1/466.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/543.

التَّفريع بالفاء وأثره في جلاء المعنى وترابط السّياق:

الدّلالة على أنّ كيد الشّيطان ضعيف منذ كان الشّيطان

جاء التَّفريع بالفاء[1]، في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾؛ لبيان استِتباع ما قبلَ الفاء لمَا بعدَها، وذُكرَ بهذا العنوان؛ للدَّلالة على أنَّ ذلك نتيجةٌ لقتالهم في سبيل الشَّيطان، والإشعارِ بأنَّ المؤمنين أولياءُ الله تعالى؛ لأنَّ قتالَهم في سبيله، وكلُّ ذلك لتأكيد رغبة المؤمنين في القتال، وتَقويةِ عزائمهم عليه، فإنَّ وِلايةَ الله تعالى عَلَمٌ في العزَّة والقوَّة، كما أنَّ وِلايَةَ الشَّيطان مَثَلٌ في الذِّلَّة والضَّعف، فكأنَّه قِيلَ: إذا كان الأمر كذلك؛ فَقاتِلوا يا أولياء الله أولياءَ الشَّيطان، ثمّ صُرِّحَ بالتَّعليل، فقيل: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، أي: بالقيّاس إلى قُدرة الله تعالى، ولم يتعرّضِ السِّياقُ لبيان قُوَّة جنابِه ﷻ إيذانًا بظُهورها، وهذا المعنى الجليلُ، أفادَه وجودُ ﴿كَانَ﴾ الَّتي تفيد في هذا الموقع التَّأكيدَ ببيان أنَّه منذُ كان كذلك، فالمعنى: أنَّ كَيدَ الشَّيطان - منذُ كان - كانَ مَوصوفًا بالضَّعف[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الشَّيطان والطَّاغوت:

إن كانَت كلمة (الشَّيطان) تعني كلَّ عاتٍ متمرِّدٍ منَ الإنس والجنِّ والدَّوابِّ، وعلى رأسِهم إبليسُ (لعنهُ الله)، لكن ليس بالضَّرورة أن يُعبَد من دون الله، كما هو الحال في معنى (الطَّاغوت)[3]؛ ولِذلك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/123.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/736.

(3) "قال اللّيث وأبو عبيدة والكسّائي وجماهير أهل اللّغة الطّاغوت كلّ ما عبد من دون الله تعالى، قال الواحديّ: الطّاغوت يكون واحدا وجمعا، ويؤنّث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النّساء: 60]، فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: 257]، وقال في المؤنّث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزّمر: 17]، قال في المصباح: وهو في تقدير: (فعلوت) بفتح العين، لكن قدّمت اللّام موضع العين، واللّام واو محرّكة، مفتوح ما قبلها، فقلبت ألفا، فبقي في تقدير: (فعلوت)، وهو من الطّغيان"، ينظر: عبد الباقي: المسند الصّحيح للإمام مسلم: (هامش التّحقيق): 1/163.

جاءَت كلمة (الطَّاغوت) في سياق وصف الكافرينَ، بأنَّهم يُقاتلونَ في سبيل الطَّاغوت، أي: في سبيلِ كلِّ مَن يَعبُدونَهم من دون الله، في حين جاءَت كلمة (الشَّيطان) في سياق أمر المؤمنين، بقتال أولياء كلِّ عاتٍ مُتمرِّد وأنصاره، وكلُّ أولئك هم جنودُ إبليس(لعنهُ الله)، وإن كانوا لا يعبُدونَهم من دون الله، لكنَّهم طُغاةٌ عُتاةٌ مُتجبِّرونَ مُتكبِّرونَ على خَلق الله؛ ولِذلك وسَمَهُمُ اللهُ بالكَيدِ، ولكنَّه كَيدٌ ضعيفٌ؛ لأنَّه قائمٌ في أصلِه على ضَعف، وكلُّ قائمٍ على غير دين الله وشريعة الله، فهو ضعيف لا محالة، وإن بدا قويًّا مُتماسكًا في ظاهرِه، لكنَّ باطنَه ولُبَّه هَشٌّ، وهو زائلٌ بلا ريب.

الكَيْد والمَكْر:

قال اللّيث: قال شيخنا: "وظاهر كلامهم أنّ الكيد والمكر مترادفان، وهو الظّاهر، وقد فرّق بينهما بعض فقهاء اللّغة، فقال: الكيد: المضرّة، والمكر: إخفاء الكيد وإيصال المضرّة، وقيل: الكيد: الأخذ على خفاء، ولا يُعتبر فيه إظهارُ خلاف ما أبطنه، ويعتبر ذلك في المكر"[1]، والمَكرُ مثلُ الكَيدِ، في أنَّه لا يكونُ إلَّا مع تَدبُّرٍ وفِكرٍ، إلَّا أنَّ الكَيدَ أَقوى منَ المكر، والشَّاهدُ أنَّه يتعدَّى بنفسه، والمكرُ يتعدَّى بحرف، فيُقالُ: كادَه يَكيدُه، ومَكَرَ به، ولا يُقالُ: مَكَرَهُ، والَّذي يتعدَّى بنفسه أقوى، والمكرُ أيضًا: تقديرُ ضَرَر الغير من أن يُفعَلَ به، ألَا ترى أنَّه لو قال له: أَقدِرُ أن أفعلَ بك كذا، لم يكن ذلك مَكرًا، والكَيدُ: اسمٌ لإيقاع المكروه بالغير قَهرًا، سواء عُلِمَ أم لا، والشَّاهدُ قولُك: فلانٌ يُكايِدُني، فَسَمَّى فعلَه كيدًا، وإن عَلِمَ به[2]، وممَّا تقدَّمَ بيانُه يظهرُ جليًّا أنَّ استخدامَ البيان الإلهيِّ لكلمة (الكَيد) أَوفَرُ حظًّا، وأَقومُ قيلًا في السِّياق القرآنيِّ الَّذي وردَت فيه، فالَّذي يَكيدُ هو الشَّيطانُ بنفسه، وهو مادّةُ الشَّطَط، والشَّطَن في البُعد عنِ الحقِّ غايةَ البُعد، والإيغال في الباطل، والضَّلال غايةَ الإيغال.

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: 9/122.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 508.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»